

مَجَلَّةُ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

مادة (غلظ) في القرآن الكريم: دراسة معجمية دلالية سياقية

د. سمير أحمد الكساسبة

وزارة الأوقاف الأردنية - المملكة الأردنية الهاشمية

مجلس
النشر العلمي



جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

P-ISSN: 1029-8908

E-ISSN: 2960-1479

العدد ١٤٥ - السنة ٤١

ذو الحجة ١٤٤٧ هـ - يونيو ٢٠٢٦ م

البحث الثالث

مادة (غلظ) في القرآن الكريم: دراسة معجمية دلالية سياقية

الدكتور / سمير أحمد الكساسبة

إمام وخطيب في محافظة الكرك بوزارة الأوقاف الأردنية
المملكة الأردنية الهاشمية

للاستشهاد:

الكساسبة، سمير أحمد. (2026). مادة (غلظ) في القرآن الكريم: دراسة معجمية دلالية سياقية. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 41(145)، 89-132.

<https://doi.org/10.34120/jsis.v41i145.3783>

To cite:

Al-kasasbeh, S. A. (2026). The Term of (Ghalazh / Hard) in the Holy Qur'an: Lexical, Semantic and Contextual Study. *Journal of Sharia and Islamic Studies*, 41(145), 89-132.

<https://doi.org/10.34120/jsis.v41i145.3783>

مادة (غلظ) في القرآن الكريم: دراسة معجمية دلالية سياقية

د. سمير أحمد الكساسبة*

تاريخ الإجازة: يوليو/ 2025

تاريخ الاستلام: مايو/ 2025

ملخص البحث

فكرة البحث الرئيسية: دراسة مادة (غلظ) في القرآن الكريم، وذلك من خلال دراسة معجمية دلالية سياقية، تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول أحد ألفاظ القرآن الكريم بالدراسة الدلالية اللغوية (المعجمية، الصوتية، الصرفية، السياقية) لها، بما يرفد الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وبما يحقق إضافات وإضاءات للدرس الدلالي القرآني، والذي يرجى منه مزيدٌ من فهم القرآن وتدبر آياته، وتتمثل إشكالية الدراسة في الكشف عن الدلالة الخاصة لمادة (غلظ) وتحاول الإجابة عن سؤال رئيس حول الأثر الدلالي والسياقي المترتب على مادة الدراسة، من خلال تناول هذه المادة ونظائرها بالدرس الدلالي السياقي، من خلال دراسة تحليلية استقرائية لدلالات المادة المعجمية والصوتية والصرفية والسياقية، ويهدف البحث إلى بيان الدلالة الخاصة لهذه المادة في كل موضع ورد فيه والوقوف على معاني هذه الألفاظ ومعرفة العلائق بينها، إضافة إلى المعنى السياقي؛ للكشف عن رافد من روافد الإعجاز البياني المتعلق بالكلمة القرآنية مادة وصيغة وموقعاً، وقد اقتضت طبيعة البحث اعتماد المنهج الاستقرائي، حيث قمت باستقراء المادة ورودها في الاستعمال القرآني، ودلالاتها اللغوية، واستقراء الألفاظ المقاربة لها، واتبعت المنهج التحليلي للمادة في دراستها معجمياً وصوتياً وصرفياً وفي السياق القرآني، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها المعنى المحوري لمادة (غ ل ظ) : «عظم الجرم وتجسمه مع صلابه، ويلزمه الشدة والقوة، والحدة والثخانة، اشتركت حروف المادة (غ ل ظ) بصفة الجهر، بينما انفردت اللام من بين أختيها بصفات الاستفال والإذلاق والانحراف والتوسط، وهي متوسطة في اللفظ، لذا يرى الباحث متابعة البحث في الألفاظ القرآنية، ودراستها دراسة صرفية صوتية وبيانية سياقية، واستخراج ما فيها من دلالات.

الكلمات المفتاحية: غلظ ، معجمية، دلالة، سياق.

(*) د. سمير أحمد الكساسبة، يحمل درجة الدكتوراة في فلسفة التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الأردنية عام ٢٠٢٠، ودرجة الماجستير في أصول الدين / تفسير وعلوم القرآن، في جامعة مؤتة عام ٢٠١٦، ودرجة البكالوريوس في أصول الدين في جامعة مؤتة عام ٢٠١٣، يعمل في وزارة الأوقاف الأردنية إمام وخطيب في محافظة الكرك.

الاهتمامات البحثية: في نظرية الدلالة والبلاغة والنحو والصرف.

البريد الإلكتروني: drsamerkasasbeh@gmail.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

The Term of (Ghalazh / Coarse) in the Holy Qur'an Lexical: Semantic and Contextual Study

*Dr. Sameer Ahmed Al-kasasbeh **

Submitted Date: May 2025

Accepted Date: July 2025

Abstract

Main research idea: This study explores the term (Ghalaza/غلظ) in the Qur'an through a contextual, semantic, and lexicographical analysis that uncovers its expressive dimensions and reveals the precise relationship between the word and its context. **The significance of this research** lies in its treatment of a Qur'anic term through linguistic semantic analysis (lexical, phonetic, morphological, and contextual), enriching rhetorical miracle studies and contributing to understanding and reflection on the Qur'anic text. **The central problem** is identifying the specific meaning of the root (Ghalaza/غلظ) by answering a fundamental question regarding the semantic and contextual impact of this root. This is approached through semantic and contextual analysis, including its lexical, phonetic, and morphological dimensions. **The research aims** to analyse the root (غلظ) to uncover its structure and authentic meanings in dictionaries, explain how morphology and phonetics influence meaning, and highlight its rhetorical and expressive impact through Qur'anic contexts, enhancing interpretation and showcasing the rhetorical miracle. **The methodology is inductive**, examining Qur'anic occurrences of the root, its linguistic connotations, and related words, along with analytical methods for

(*) Imam and Preacher in Al-Karak Governorate at the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Hashemite Kingdom of Jordan.

E-mail: drsameerkasasbeh@gmail.com

studying lexical, phonetic, morphological, and contextual traits. **A key finding** is that the core meaning of (غ ل ظ) is “greatness in size and density”, inherently involving intensity, strength, and sharpness. The root’s sounds are characterised by voicing, with the letter Lām (ل) being uniquely intermediate in articulation. **Therefore, The researcher** deems it important to continue studying Qur’anic vocabulary through morphological, phonetic, rhetorical, and contextual analysis.

Keywords: (Ghalazh / Coarse), Lexical, Semantic, Contextual.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على خير خلقه نذيرًا وبشيرًا، وجعله حجة على العالمين، والصلاة والسلام على من أعطي جوامع الكلم، فأسر القلوب بحلاوة بيانه.

إنَّ أشرف ما يُشْتَغَل به في هذه الحياة هو كتاب الله تعالى، تلاوةً وتعلُّماً وتعليمًا، فقد قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعَلَّمه».^(١)

وفي هذا السياق، تأتي هذه الدراسة لتحليل مادة (غ ل ظ) في القرآن الكريم، من خلال منهج استقرائي تحليلي يدرس أبعادها المعجمية، والصوتية، والصرفية، والسياقية، بغية الوقوف على معانيها المتنوعة، ورصد العلاقات بينها، والكشف عن أحد أوجه الإعجاز البياني في الكلمة القرآنية من حيث المادة، والصيغة، والسياق.

ويُعد هذا البحث مساهمة جادة في ميدان الدراسات اللغوية القرآنية، إذ يستقصي حضور هذه المادة في الخطاب العربي كما ورد في القرآن، كاشفًا عن دلالاتها الحقيقية والتصويرية، وعن بنيتها السياقية التي تسهم في بناء المعنى. يركّز البحث على بلاغة المفردة القرآنية، وكيفية توظيفها بما يحقق غاية الإعجاز البياني.

وقد انقسمت الدراسة إلى محورين رئيسيين:

- دراسة الأصل اللغوي للمادة، مع استقراء معانيها الحسية والمجازية كما وردت في كلام العرب.
- تحليل دلالات المادة في السياق القرآني، للكشف عن تنوع الاستخدام وعمق الدلالة.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في تناولها لأحد ألفاظ القرآن الكريم من منظور دلالي لغوي شامل، يشمل الجوانب المعجمية، والصوتية، والصرفية، والسياقية، مما يسهم في إثراء الإعجاز البياني للقرآن الكريم. كما تهدف إلى تقديم إضافات وإضاءات جديدة للدرس الدلالي القرآني، بما يعزز فهم النص القرآني وتدبر آياته بشكل أعمق.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧)، ط ٣، حديث رقم ٤٧٣٩.

مشكلة الدراسة

تحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي :

ما الأثر الدلالي السياقي المترتب على مادة (غلظ) في القرآن الكريم؟ ويندرج تحته عدة أسئلة:

أسئلة الدراسة

- ١ - ما الدلالة اللغوية والصرفية والصوتية لمادة (غلظ) في الاستعمال القرآني؟
(يشمل المعنى المعجمي، والتحليل الصرفي، والسمات الصوتية للحروف المكونة للمادة).
- ٢ - ما أثر هذه الدلالات في إبراز المعاني البلاغية والتعبيرية في السياق القرآني؟
(يركز على دور الجذر في تعزيز البلاغة والتأثير النفسي للنصوص القرآنية).
- ٣ - ما مدى التناسب بين دلالات مادة (غلظ) والسياقات التي وردت فيها؟
(يتناول العلاقة بين المعنى والسياق القرآني لكل موضع).

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة لإبراز عدة نقاط :

- ١ - تحليل الدلالة اللغوية والصوتية والصرفية لجذر (غلظ): لفهم البنية الداخلية للكلمة وتحديد المعاني الأصلية المتجذرة فيها، كما وردت في المعاجم والمصادر اللغوية، واستكشاف أثر البنية الصرفية والصوتية في توجيه المعنى.
- ٢ - الكشف عن البعد البلاغي والتأثير التعبيري لكلمة (غلظ): من خلال دراسة حضور الجذر في السياق القرآني؛ ليتم توضيح كيف تسهم الكلمة في إيصال المعاني الشعورية والنفسية، مما يعكس الإعجاز البياني للقرآن الكريم.
- ٣ - بيان العلاقة بين المعنى والسياق القرآني: لتحديد كيف تتناسب دلالات كلمة (غلظ) مع المواضع والسياقات التي وردت فيها، وهو ما يعزز الفهم التفسيري للنصوص ويظهر دقة اختيار الألفاظ في القرآن. التناسب بين الدلالات والسياق.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعي وبحثي لم أعثر على دراسة تناولت مادة (غ ل ظ) بالبحث والدراسة، فهي إضافة جديدة لمكتبة التفسير الدلالي، غير أن هناك دراسات مشابهة لألفاظ أخرى اطلعت عليها وأفدت منها وهي على النحو الآتي:

- بحث للباحثين أ.د. جهاد نصيرات، والباحثة علياء العظم، بعنوان: مادة (ح ر ف) في القرآن الكريم دراسة دلالية لغوية، تناولوا فيها مفهوم الدلالة وأنواعها، ودلالة المادة والألفاظ المقاربة لها في السياق القرآني، وتناسب المادة مع المقام والسياق القرآني.
- بحث للباحثين أ.د. جهاد نصيرات، والباحثة بشرى الأقطش، بعنوان: (مادة الزيغ في القرآن الكريم، دراسة دلالية سياقية)، تناولوا فيه الدلالة اللغوية والاصطلاحية، ودراسة الألفاظ المقاربة، والدلالة الصرفية ودراسة السياق .
- بحث للباحثين: أ.د. جهاد نصيرات، والباحثة هيا زايد المطيري بعنوان: (دلالة اللفظ « قنط » في القرآن الكريم)، تناولوا فيه معنى اللفظ لغة واصطلاحاً وتقاليد مادته والألفاظ المقاربة له ودلالته في السياق القرآني.

أوجه الاتفاق والاختلاف والإفادة مما سبق من الدراسات:

أوجه الاتفاق: تتفق الدراسات السابقة في مجملها مع الدراسة الحالية في اعتماد المنهج الدلالي والسياقي، وتحليل الجذور القرآنية في ضوء المعنى المعجمي، وتتبع الألفاظ المقاربة لها في السياق القرآني، وقد استثمرت كل دراسة جوانب من التحليل الصرفي أو السياقي أو المعجمي لتجلية المعنى.

أوجه الاختلاف: غير أنها تختلف عن هذه الدراسة في كونها ركزت على جذور أو ألفاظ معينة دون التوسع في المستوى الصوتي أو البناء الدلالي التراكمي عبر المحاور المعجمية المختلفة، بينما سعت هذه الدراسة إلى إبراز مستويات الغلظة المتعددة (اللفظية، الحسية، المعنوية) وربطها بالسياق القرآني ربطاً دقيقاً، إضافةً إلى إظهار البعد الصوتي في تشكل دلالة مادة (غ ل ظ).

الإفادة: وقد أفادت الدراسة الحالية من تلك البحوث في منهج تحليل الجذر والسياق،

واستثمار المقارنات المعجمية والدلالية في تعزيز فهم بنية الكلمة وعلاقتها بالسياق، كما وجّهت الباحث إلى أهمية تتبع الاشتقاقات والتقاليب في الكشف عن العمق الدلالي للجذر القرآني.

– دراسة الدكتور ليث داود سليمان، المدرّس في جامعة البصرة – كلية الآداب، جاءت بعنوان: «مادة (ع ل م) في القرآن الكريم: دراسة في صورها البنائية ودلالاتها»، نُشرت في آب / أغسطس ٢٠١٩. قُسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور، تناول في أولها المباني المختلفة للمادة، مبرزًا خصوصياتها بحسب الشخص والعدد والنوع، وخصص المحور الثاني لدراسة الدلالة وفق سياقاتها المختلفة، مركّزًا على علاقة البناء الزمني بالسياق. أما المحور الثالث، فاختص بمراتب ظهور هذه المادة دلاليًا، مع التركيز على الألفاظ المرتبطة بـ «العلم» فقط، دون غيرها من الاشتقاقات كـ «العالمين» و «الأعلام».

– دراسة الأستاذ الدكتور عبد الله حسن أحمد، أستاذ في جامعة الموصل، كلية الآداب، حملت عنوان: «مادة (ض ر ب) المعجمية ودلالاتها في القرآن الكريم»، وقد نُشرت في مجلة «آداب الرفادين»، المجلد ٥١، بتاريخ ٣٠ أيلول ٢٠٠٨. ركزت هذه الدراسة على التحليل المعجمي والدلالي للمادة، وتتبع معانيها المختلفة في السياقات القرآنية، مع إبراز تفرع الدلالة بحسب البنية الصرفية والسياق، مما أتاح تتبع تنقل المعنى من الحسي إلى المجازي.

أوجه الاتفاق والاختلاف والإفادة من الدراستين السابقتين:

أوجه الاتفاق: تشترك الدراستان مع البحث الحالي في اعتماد المنهج المعجمي والدلالي، وتوظيف السياق في تحديد الدلالة.

أوجه الاختلاف: أن دراسة (ع ل م) تميزت بالتركيز على الأبعاد البنائية، بينما اتجهت دراسة (ض ر ب) إلى رصد تنقلات الدلالة عبر السياقات والمقامات.

الإفادة: وقد استفاد البحث الحالي من هاتين الدراستين في تعزيز المنهج الوصفي التحليلي للجذر القرآني، وتوسيع النظر في علاقة البنية بالمعنى، مع الحفاظ على خصوصية مادة (غ ل ظ) من حيث مجالات الغلظة ومظاهرها.

ما يضيفه هذا البحث.

يُبرز هذا البحث ما تحمله مادة (غ ل ظ) في القرآن الكريم من أبعاد لغوية ودلالية، من خلال دراسة معجمية تتبع الأصل اللغوي للكلمة ومعانيها الحسية والمجازية في كلام العرب، ثم كشفت عن ثراء السياقات القرآنية التي وردت فيها، حيث توزعت دلالاتها على أحد عشر معنى، مما يعكس روعة النظم القرآني وبلاغته المعجزة في توظيف الألفاظ ضمن بناء دلالي وسياقي متكامل.

حدود البحث

يقتصر هذا البحث على دراسة مادة (غ ل ظ) فقط، دون التوسع في جذور لغوية أخرى أو الألفاظ المتقاربة في المعنى إلا عند الحاجة إلى المقارنة أو التوضيح، ويشمل فقط الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه المادة بصيغها المختلفة.

البحث موضوع الدراسة

يعدُّ البحث دراسة ذا جدية في الخطاب العربي، يهدف إلى استقصاء القرآن الكريم لدراسة مادة لغوية تظهر فيها معانٍ حقيقية وتصويرية في استخدامات العرب، وتظهر فيها أيضاً بنية سياقية.

لقد توصل الباحث إلى عدة استنتاجات، والخلاصة الأهم أن بلاغة الكلمة في القرآن الكريم فاقت الوصف، وبلغت غايتها في الإعجاز، وقام البحث على فكرتين: الأولى بدأ فيها بالأصل اللغوي ثم بالمعاني الحسية، وتوسع في المعاني المجازية؛ ليطلع القارئ على سعة هذه المادة واستعمالاتها في كلام العرب، وفي الفكرة الثانية: بحث في دلالة هذه المادة في القرآن الكريم، والتي توزعت على أحد عشر معنى.

منهج الدراسة

لقد اقتضت طبيعة البحث اتباع **المنهج الاستقرائي**، حيث قمت باستقراء المادة وورودها في الاستعمال القرآني، ودلالاتها اللغوية، واستقراء الألفاظ المقاربة لها، واتبعت **المنهج التحليلي** لمادة في دراستها معجمياً وصوتياً وصرفياً وفي السياق القرآني.

خطة الدراسة

اقتضت طبيعة البحث إلى تقسيمه إلى مقدمة وخمسة مباحث، على النحو الآتي:
المقدمة.

المبحث الأول: الدلالة المعجمية.

المطلب الأول: المعنى اللغوي والأصول الاشتقاقية.

المطلب الثاني: المحور الدلالي وتنوع السياقات القرآنية لمادة (غ ل ظ) ..

المبحث الثاني : الدلالة الصوتية.

المطلب الأول : صفات الحروف.

المطلب الثاني : مخارج الحروف.

المطلب الثالث: ألقاب الحروف.

المبحث الثالث: الدلالة الصرفية.

المطلب الأول: الصيغ التي جاءت عليها لمادة (غلظ) .

المطلب الثاني: الدلالة الصرفية للأبنية الواردة لمادة (غلظ) في القرآن.

المبحث الرابع : الدلالة السياقية.

المطلب الأول: دلالة سياق الصفة المشبهة (غليظ ، غلاظ)

المطلب الثاني: دلالة سياق المصدر السماعي (غلظة).

المطلب الثالث: دلالة سياق الفعل : (الأمر والماضي).

المبحث الخامس: الألفاظ المقاربة

المطلب الأول: (ق ، س ، و)

المطلب الثاني: (ف ، ظ ، ظ)

المطلب الثالث: (ث، خ، ن)

المطلب الرابع: (غ، ل، ب)

المطلب الخامس: (ص، ل، ب)

المبحث الأول: الدلالة المعجمية.

يتناول هذا المبحث الدلالة المعجمية لمادة (غ ل ظ) من خلال تتبع معناها في معاجم اللغة العربية وبيان أصلها اللغوي.

المطلب الأول: المعنى اللغوي والأصول الاشتقاقية.

عند الرجوع إلى المعاجم اللغوية، يتبين أن مادة (غ ل ظ) تدور حول معاني الشدة، والصلابة، والثخانة، والقسوة، والعنف، والفظاظة، وتُستعمل للدلالة على الصفات الحسية والمعنوية.

قال الخليل في العين: «غَلِظَ الشيء غَلِظًا فهو غَلِيظٌ... واستَغْلِظَ النباتُ والشجرُ، وأَغْلَظْتُ الثوبَ: وجدته غليظًا، والتغليظ: الشدة في اليمين، وغَلِظْتُ عليه وأَغْلَظْتُ له في المنطق، وأمرٌ غليظ»^(١).

وذكر الأزهري المعاني نفسها، مضيفاً: «والدية المُغْلَظَةُ... والتغليظ في الدية يكون في القتل العمد والخطأ العمد، وفي القتل في الشهر الحرام، والبلد الحرام، وقتل ذي الرحم»^(٢). وقال ابن سيده: «الغِلْظُ: ضد الرقة، في الخلق والطبع والمنطق والعيش... وغَلِظَ الشيء: جعله غليظاً... واستغلظه: ترك شراؤه لغلظه... و(الميثاق الغليظ) [النساء: ١٥٤] أي: المؤكد المشدد...»^(٣).

وأشار إلى أن الغِلْظَة تستعمل في المحسوسات، مثل: «أرض غليظة»، وفي المعنويات، مثل: «غليظ القلب»، و «عذاب غليظ».

وفي تكملة المعاجم، يتضح أن (غ ل ظ) تُفيد الثقل والضخامة والقسوة؛ فـ«غَلِظَ» يدل على الصفة البدنية أو النفسية، و«غَلِظَ» للتشديد والتهويل، و«أَغْلَظَ» يُستعمل للجفاء

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ج:٤، ص:٣٩٨.

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١) ج:٨، ص:٩٩.

(٣) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠) ج:٥، ص:٤٧٩.

والتهديد، و «استَغْلَطَ» تدل على القوة والمنعة، أما «غِلْظَة» فهي مصدر يشير إلى الصرامة والخشونة، وتوصف بها الأحوال والمواقف.

وترد الكلمة في القرآن للدلالة على الشدة، مثل: «عذاب غليظ»، أو القوة والتوثيق، مثل: «ميثاقًا غليظًا»^(١).

خلاصة القول: تدور مادة (غ ل ظ) في اللغة حول معاني الشدة، والثقل، والغلظة، وتُستخدم في المحسوسات كـ «ثوب غليظ»، وفي المعنويات كـ «قول غليظ»، وتتنوع بين الدلالة الحقيقية والمجازية.

المطلب الثاني: المحور الدلالي لمادة (غ ل ظ)، وتنوع السياقات القرآنية - عرض تمهيدي-

تدور مادة (غ ل ظ) حول معنى مركزي يجمع بين العِظَم والكثافة والصلابة، سواء في المحسوس أو المعنوي، وهو ما يقابل الرِّقَّة في اللغة. وقد استعملت في القرآن الكريم في سياقات متعدّدة، تتنوّع دلالتها بحسب السياق.

أولاً: الغلظة في الجرم والماديات.

تدل على الكثافة والصلابة في الأشياء المحسوسة، كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَخْلَفَ فَاَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ أي: اشتدّ النبات وتجسّم، ومنه الأرض الغليظة والثوب الغليظ.

ثانيًا: الغلظة في الصفات والسلوك.

تظهر بمعنى الشدّة والصرامة، وتُمدح حين تكون في موضع الحزم والجهاد: ﴿وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، ﴿مَلَكِيَّكَ غِلَظُّ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]. وقوله: ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]. فهذه غلظة تعكس قوّة لا قسوة.

(١) ينظر: رينهارت بيتر آن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمّد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخياط، (وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية: ٢٠٠٠)، ج: ٧، ص: ٤٢٤.

ثالثاً: الغلظة في المعاني المجردة.

تأتي للدلالة على القسوة^(١) أو المتانة في الأمور المعنوية:

- في الذم: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا عَلِيْظَ الْقَلْبِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، حيث الغلظة قسوة تنفر.
- في الإيجاب: ﴿مِثْقًا عَلِيْظًا﴾ [النساء: ١٥٤]؛ أي: ميثاق شديد مؤكّد، يدل على التزام راسخ^(٢).

سأدرج في مبحث الدلالة السياقية جدولاً للآيات وسياقاتها وأنواعها ودلالاتها.

النتيجة: الغلظة في القرآن الكريم تحمل طابعاً دلاليّاً متحوّلاً، يتحدد قيمتها بحسب المقام: فإن وردت في مقام الجهاد أو نصرة للحق فهي محمودّة، وإن جاءت في مقام الدعوة أو التعامل مع المؤمنين فهي مذمومة.

(١) يتبيّن من تتبّع السياقات القرآنية أن «الغلظة» تعبّر عن خشونة ظاهرة في السلوك والتعامل، وتمثّل ردّ فعل خارجيّاً يحول دون تأثر القلب بالحق واستقباله. أما «القسوة» فهي حالة داخلية مستقرة في القلب، تنشأ عنها الجفوة من الحق وردّه، ومن ثمّ فإن الغلظة قد تكون مظهرًا من مظاهر القسوة، أو أثرًا من آثارها، لكنها لا تُطابقها في المعنى، لذا وصفتها بأنها «مباينة وليست رديفة»؛ أي: ليست مترادفة تامة معها، وإن كان بينهما قدر من التداخل الدلالي.

(٢) ينظر: جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٢) ج: ٣، ص: ١٦٠٢.

(٣) وقد بيّن كتاب التحقيق في كلمات القرآن أن الغلظة تقابل الرقة في أصلها، وتستعمل في الجسد والصفات والمعاني، مما يعزز النظر إليها كثنائية دلالية في مقابل اللين. ينظر: المصطفوي، حسن بن محمد، التحقيق في كلمات القرآن (طهران: بنگاه ترجمه ونشر كتاب، ١٩٩٣). ج: ٧، ص: ٣٠٣-٣٠٦.

المبحث الثاني: الدلالة الصوتية

تمثل الدلالة الصوتية في القرآن الكريم جانباً من جوانب إعجازه البياني، حيث تتجلى في تناغم الحروف وصفاتها الصوتية الدقيقة، وتؤدي التلاوة الصحيحة للقرآن إلى تأثير عميق في النفس، لما تحمله الأصوات من قدرة على الإيقاظ والتأثير الوجداني.

المطلب الأول: صفات الحروف

ندرس في هذا المطلب صفات حروف مادة (غ، ل، ظ).

١. صفات الحروف اللازمة:

(غ): الجهر، الاستعلاء، الإصمات، الرخاوة، الانفتاح.

(ل): الجهر، الاستفال، الانحراف، الإنلاق، الانفتاح، التوسط.

(ظ): الجهر، الاستعلاء، الإصمات، الإطباق، الرخاوة^(١).

أولاً: تحليل الصفات اللازمة لكل حرف

١. حرف الغين (غ):

- الجهر: يدل على قوة صوتية ناتجة عن اهتزاز الأوتار الصوتية.
 - الاستعلاء: يرفع اللسان إلى الحنك الأعلى ما يضيفي على الصوت صدى وقوة.
 - الإصمات: يمنع سرعة النطق به، فيشعر السامع بثقل وامتناع.
 - الرخاوة: يسمح بمرور الصوت بسهولة دون انقطاع، مما يولد امتداداً في اللفظ.
 - الانفتاح: خروج الصوت من غير انطباق اللسان على الحنك الأعلى، يعطيه مجالاً في الهواء.
- المحصلة:** الغين حرف قوي ممتد، فيه ثقل ووضوح وصدى، يتلاءم مع المعاني المتصلة بالصلابة والخشونة، وهو أول حرف في المادة «غلظ»، ويعطي إيحاءً بدخول المعنى من بابه الكبير.

(١) الصفات التي لها ضد هي: (الجهر والهمس، الشدة والرخاوة وبينهما التوسط، الإطباق والانفتاح، الاستعلاء والاستفال، الإصمات والإنلاق) شكري، أحمد خالد وآخرون، المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، (الأردن: المطابع المركزية، ٢٠١٠)، ط ١٧، ص: ١٢٧.

٢. حرف اللام (ل):

- الجهر: فيه قوة صوتية.
- الاستفال: خفض اللسان عن الحنك الأعلى، ما يعطيه ليونة.
- الانحراف: انصراف الصوت عن مخرجه، ما يضيفي نعومة وحركة.
- الإذلاق: سرعة وخفة في النطق.
- الانفتاح: صفة متوسطة.
- التوسط: لا هو رخو تمامًا ولا شديد، بل وسط.

المحصلة: اللام حرف لين متوسط، يحمل شيئاً من الاعتدال بين القوة واللين، وهو الحرف الأوسط في المادة، فيكسر حدة البداية ويُعَدُّ تمهيداً للفظ «الظاء».

٣. حرف الظاء (ظ):

- الجهر: صوت ظاهر قوي.
 - الاستعلاء: قوة نبر.
 - الإصمات: يثقل النطق ويمنع سرعة التناول.
 - الإطباق: انطباق اللسان على الحنك الأعلى، يولد حبساً وقوة صوتية مضغوطة.
 - الرخاوة: امتداد في النطق.
- المحصلة:** الظاء من أقوى الحروف العربية، فيه ثقل وامتداد واحتباس، يُضيفي على الكلمة قوة في الخاتمة، ويُغلق نغمتها بغلظة محسوسة.

ثانياً: الصفات المشتركة بين الغين والظاء (غ، ظ)

- الجهر، الاستعلاء، الإصمات، الرخاوة:
- الجهر + الاستعلاء = قوة وصدى.
- الإصمات + الرخاوة = ثقل وامتداد.

هذه الصفات تشكّل معاً «هيكلًا صوتيًا غليظًا» يتوافق مع مضمون المادة: الشدة، القسوة، الصلابة^(١).

(١) ينظر: ابن جني، عثمان الموصلي، سر صناعة الإعراب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)، ط ١، ج: ١، ص: ٢٣٧، و ص: ٢٥٥، و ج: ٢، ص: ٤٢٧.

قسّم سيبويه صفات الأصوات إلى قسمين رئيسين هما: الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة، وهاتان الصفتان تتحكمان بمجرى الهواء وإنتاج الصوت .

وقد عرّف الصوت الشديد بأنه (الذي يمنع الصوت أن يجري فيه) وهذه الأصوات عنده هي: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والذال والباء، مجموعة في قولنا: (أجد قط بكت) .

أما الصوت الرخو فخللاف الشديد عنده، وأصواته هي الهاء والحاء والغين والخاء والشين والضاد والظاء الزاي والسين والظاء الثاء والذال والفاء.

وكل صوت شديد أو رخو ينقسم بدوره عنده إلى صوت مجهور وصوت مهموس، وهذا التقسيم يعتمد على وجود الرنين الذي يصاحب نطق هذه الأصوات أو عدم وجوده، فالصوت المجهور فيه رنين والصوت المهموس لا رنين فيه»^(١)

قال سيبويه (١٨٠هـ): «حرفُ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت، وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه»^(٢).

وعند علماء التجويد جريان النفس مع المهموس وعدم جريانه مع المجهور، جاء في كتاب الهادي شرح طيبة النشر: «الهمس لغة: الخفاء، واصطلاحًا: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج. والجهر لغة: الإعلان، واصطلاحًا: انحباس جريان النفس عند النطق بالحرف لقوّة الاعتماد على المخرج»^(٣).

في حين أن علماء اللغة المحدثين عرفوا الصوت المجهور بأنه الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، والصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع له رنين حين النطق به^(٤).

(١) المعين، محمد جبار، دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية، غير مرقم الصفحات على الشاملة.

(٢) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨)، ط ٣، ج ٤، ص: ٤٣٤.

(٣) محيسن، محمد محمد، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٧)، ط ١، ج ١، ص: ٩٣.

(٤) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، (مصر: مكتبة نهضة مصر ومطبعاتها)، ص: ٢١-٢٢.

رغم اختلاف المنهج بين علماء التجويد القدامى والمحدثين في تفسير ظاهريّ الجهر والهمس، إلا أن النتيجة التي توصّلوا إليها واحدة في الغالب؛ فالمهموس صوت لا يصاحبه اهتزاز في الأحبال الصوتية (عند المحدثين) ولا يعتمد على المخرج بقوة (عند القدامى)، أما المجهور ففيه اهتزاز واعتماد قوي، مما يمنع جريان النفس، والمراد بهمس الصوت سكون الوترين الصوتيين، والمحدثون أضافوا إلى حروف الهمس (فحّته شخص سكت) حرفين، وهما: الطاء والقاف.

يُلاحظ أنّ اللام، بين حروف مادة (غ ل ظ)، هو الأخفّ صوتاً ويقع في وسط الكلمة، ولأنّه من حروف الإدلاق والتوسّط -بين الشدّة والرخاوة- فإنه يُلطّف وقع الكلمة ويُخفّف حدّتها، أمّا الغين والطاء فكلّ منهما يتّصف بالرخاوة مع قوّة الجهر، وهو ما نبّه إليه البقاعي في نظم الدرر عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكٌ كَبِيرٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]، إذ أوضح أنّ الغلظة قد تقترن بالرخاوة، فجاء الوصف بـ«شَداد»؛ ليدلّ على شدّة الملائكة في القول والفعل^(١).

ولعلّ ما أشار إليه البقاعي يُجلّي الحكمة في عطف (شَداد) على (غلاظ)، إذ جاء هذا العطف لبيان هول الموقف وشدّة العقاب، مما يخلع القلوب رعباً؛ وذلك لاستحقاق أولئك العصاة هذا المصير بسبب تمرّدهم على أمر الملك الأعلى سبحانه.

يُلاحظ أنّ مادة (غلظ) تقترب في معناها من لفظ (الشدّة)، ومن العجيب أن حروفها لا تتصف بصفة الشدّة صوتياً؛ ولهذا جاء عطف (شَداد) عليها لبيان هذا المعنى وتوكيده.

٢. صفات الحروف من حيث القوة والضعف^(٢).

أولاً: صفات القوة في الحروف:

– الغين (غ): تتصف بالجهر والاستعلاء، مما يعطيها قوة في الأداء.

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ج: ٢٠، ص: ١٩٨.

(٢) صفات القوة هي: جهر، شدّة، إطباق، استعلاء، صفير، قلقّة، انحراف، تكرير، تفشي. صفات الضعف هي: همس، رخاوة، استفال، انفتاح، لين، خفاء. صفات لا توصف بقوة ولا بضعف، وهي: إصمات، إدلاق، توسط. ينظر: المنير في أحكام التجويد، شكري، وآخرون ص: ١٣٨-١٤١.

- اللام (ل): تتصف بالجهر والانحراف، وكلتاها من صفات القوة.
- الظاء (ظ): تتصف بالجهر، والاستعلاء، والإطباق، وهي صفات قوية تعزز فخامتها.

ثانياً: صفات الضعف في الحروف:

- الغين (غ): تتصف بالرخاوة والانفتاح، وهما من صفات الضعف.
- اللام (ل): تتصف بالاستفال والانفتاح، مما يضعف من شدتها.
- الظاء (ظ): تتصف بالرخاوة، وهي صفة ضعف واحدة فقط تقابل صفات القوة فيها.

ثالثاً: صفات لا تتصف بالقوة ولا بالضعف (حيادية):

- اللام (ل): التوسط والإغلاق؛ صفات لا تُعد من القوة ولا من الضعف.
- الظاء (ظ): الإصمات؛ وهو أيضاً من الصفات المحايدة.

ملاحظة ختامية:

رغم وجود صفات ضعف في هذه الحروف، فإن صفات القوة فيها تغلب أو توازن، وخاصة في حرف الظاء الذي اجتمعت فيه ثلاثة من أقوى الصفات (جهر، استعلاء، إطباق).^(١)

المطلب الثاني : مخارج الحروف.

- الغين (غ): يخرج صوتها من أدنى الحلق، وتتشترك في هذا الموضع مع حرف الخاء.
- اللام (ل): يخرج من أدنى حافتي اللسان حتى طرفه، ملامساً لثة الأسنان العليا.
- الظاء (ظ): يخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ويشاركها في هذا المخرج حرفا الذال والطاء.^(٢)

الدلالة: هذا التدرج من العمق (غ) إلى الطرف (ظ) مروراً بالوسط (ل) ينسجم مع البنية الصوتية لمادة «غلظ» إذ تبدأ الكلمة بحرف ذي عمق صوتي قوي، ثم تنتقل إلى حرف لين متوسط (ل) وتنتهي بحرف قوي جهوري ذي تماس مباشر مع مخرج النطق

(١) ينظر: المنير في أحكام التجويد، شكري وآخرون، ص: ١٢٧-١٣٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٠٣ - ١٠٩.

(ظ). هذا يعزز دلالة الشدة والصلابة، وفي الوقت نفسه لا يخلو من شيء من الليونة في المنتصف.

المطلب الثالث: ألقاب الحروف

يُبرز تنوع ألقاب الحروف في مادة «غ ل ظ» (حلقية، ذلقية، لثوية) بنيةً صوتيةً مقصودةً تخدم المعنى الدلالي للكلمة:

- (غ): حلقية
 - (ل): ذلقية
 - (ظ): لثوية^(١).
- الحرف الحلقى (غ) يصدر من أقصى الجهاز الصوتي، فيضفي على البدء عمقاً وثقلًا يتوافق مع مفهوم الشدة والصلابة.
- الحرف الذلقى (ل) يخرج من طرف اللسان بخفةٍ ومرونة، فيمثل مرحلةً توسّطٍ تكسر حِدّةَ الابتداء وتُدخل عنصر اللين النسبي، وهو ما يعكس أن الغلظة القرآنية قوةً منضبطة لا فظاظة مُطلقة.
- الحرف اللثوي المفخّم (ظ) يقع في أقرب مواضع النطق ويختتم اللفظ بإطباقٍ صوتيٍّ قوي، فيستعيد حِدّةَ البداية ويغلق الكلمة بجرسٍ يشي بالصرامة والحزم.
- إن تتابع هذه الألقاب من الحلق إلى طرف اللسان ثم اللثة يحقّق تدرّجاً صوتياً من العمق إلى الطرف، يَبني صورةً سمعيّةً تُجسّد معنى «الغلظة» باعتبارها قوّةً متصاعدةً تُطبّق في خاتمتها، وبذلك يتجلّى جانبٌ من الإعجاز البياني؛ إذ يرتبط اختيار المخارج والألقاب ارتباطاً وثيقاً بإيصال الدلالة النفسية والبلاغية للمفردة القرآنية.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص: ١٢١.

المبحث الثالث: الدلالة الصرفية.

يتناول هذا المبحث الدلالة الصرفية لمادة (غ ل ظ) من خلال تصريفاتها القرآنية، وبيان أثر البنية في توجيه المعنى، ويهدف هذا المبحث إلى إبراز أثر الصيغة في توجيه المعنى، وتحديد ما يترتب على تغيير البنية من تغيير في الدلالة.

المطلب الأول: الصيغ التي جاءت عليها مادة (غلظ).

جاءت مادة (غلظ) في القرآن في ثلاثة عشر موضعاً، في تسعة مواضع منها جاءت صفة مشبهة على وزن فاعيل، ومرة جاءت مصدر سماعياً على وزن فَعْلَة، ومرة فعلاً ماضياً مزيداً بثلاثة أحرف

على وزن استَفْعَلَ، ومرتين جاءت فعل أمر على وزن أفْعَل.

المطلب الثاني: الدلالة لصيغ مادة (غ ل ظ) في القرآن الكريم.

الصفة المشبهة: وزن «فَعِيل» يُستعمل غالباً صفةً مشبهةً تدلّ على ثبوت الصفة في موصوفها، وهو مأخوذ من الفعل اللازم (نحو كريم من كَرُم)، وقد يأتي «فَعِيل» بمعانٍ أخرى (مصدر، اسم فاعل، اسم مفعول...) بحسب السياق، غير أنّ دلالته على الثبوت هي الأظهر إذا كان الفعل لازماً، وهو ما ينسجم مع وصف الميثاق أو العذاب بالغلظة رسوخاً وثباتاً^(١).

المصدر: المصدر عند جمهور البصريين، هو الأصل الذي تُشتقّ منه الأبنية الفعلية، إذ يدلّ بالأصالة على الحدث المجرّد من الزمان والفاعل والمفعول، فيكون «مطلقاً» يقابل الفعل «المقيّد» بالزمن^(٢)، وهو «الاسم الدال على الحدث الجاري على الفعل كالضرب والإكرام»^(٣). ويُعرّف عبّاس حسن المصدر الأصلي: بأنه ذلك الاسم الذي يدل «على معنى مجرد، وليس مبدوءاً» بميم زائدة، ولا مختوماً بياء مشددة زائدة بعدها تاء تأنيث مربوطة^(٤).

(١) يُنظر: أوضح المسالك، ابن هشام، ج: ٣، ص: ٣٤٣-٣٤٥، باب الصفة المشبهة.

(٢) ينظر: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، (المكتبة العصرية، ٢٠٠٣) ج ١، ص ١٩٠.

(٣) ابن هشام، عبد الله بن يوسف، شرح قطر الندى وبل الصدى، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة، ١٣٨٣)، ط ١، ج ١، ص ٢٦٠.

(٤) عبّاس، حسن، النحو الوافي (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ط ١٥ ج ٣، ص ١٨١.

الفعل: «فالفعل: كلمة تدل على أمرين معًا؛ هما: معنى؛ أي: حدث» وزمن يقترن به^(١).

يتميّز الفعل عن غيره من الأسماء، وبخاصة المصدر، بأنه يدلّ على حدثٍ مرتبط بزمانٍ معيّن، بخلاف المصدر الذي يدلّ على الحدث دون تحديد زمن، فالفعل -كما عرّفه النحاة- هو «كلمة تدلّ على معنى في نفسها مقترنةً بزمان.

تكشف دراسة الصيغ الصرفية التي وردت بها مادة (غ ل ظ) في القرآن الكريم عن تنوع بنائي مقصود ينسجم مع تدرّج المعاني ودقة التعبير القرآني، وهو ما يعكس جانبًا من الإعجاز اللغوي في بنية اللفظ وتوزيعه السياقي:

غلبة الصفة المشبهة (فعل) في تسعة مواضع يدل على رسوخ صفة «الغلظة» وثبوتها فيمن وُصف بها، وهي الصيغة الأنسب لتصوير الحالة الثابتة الدائمة، سواء في الميثاق الغليظ أو العذاب الغليظ، أو في الملائكة الغلاظ، مما يوحي بالشدة الراسخة غير العارضة. وقد ورد المصدر السماعي (غَلْظَةً) في قوله تعالى: ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] ثبات الغلظة وديمومتها تجاه الكفار، لما في المصدر من قوة تدل على رسوخ الصفة وعدم اقترانها بفاعل معيّن، وما قصدته بـ«المفهوم المعنوي المجرد» هو تجريد المعنى من النسبة إلى ذات بعينها؛ لإبراز الغلظة كقيمة سلوكية ثابتة في مقام المواجهة، لا كصفة طارئة أو موضعية.

ورود فعل الأمر (وَاعْلَظْ) مرتين، يعبر عن تكليف مباشر بفعل الغلظة، مما يفيد التحفيز الوقتي لمواجهة حالة مخصوصة (جهاد الكفار والمنافقين)، وهو استدعاء للغلظة كأداة وظيفية لموقف معيّن، لا صفة لازمة.

خلاصة الأقوال:

الطبري: جهاد الكفار بالسيف، والمنافقين بالقول والوعيد، والغلظة عليهم بالشدة في إقامة الحدود^(٢).

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٦.

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج: ١٤، ص: ٣٦٠، و ج: ٢٣، ص: ٤٩٦.

الرازي: الجهاد مطلق في الآيّة، والكيفية تُفهم من دليل خارجي؛ فالكفار بالسيف، والمنافقون بالقول، والردع، والانتهاز^(١).

ابن كثير: الكفار يجاهدون بالسلاح، والمنافقون بإقامة الحدود، والغلبة في المعاملة الدنيوية^(٢).
الراجح: أن الجهاد في الآيّة مطلق يشمل الكفار والمنافقين، والكيفية تختلف باختلاف الحال، فالكفار يُجاهدون بالسيف، والمنافقون يُجاهدون بالحجة، والبيان، والغلبة في القول، وأحياناً بإقامة الحدود إن أظهروا من الفسق ما يوجبها، وهو جمعُ بين النصوص ومراعاة لاختلاف طبيعة كل فئة.

ورود الفعل الماضي المزيد (استغلظ) في موضع واحد: ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ [الفتح: ٢٩]، يدل على تحوّل تدريجي وتراكمي في النمو والقوة، إذ تعبّر صيغة «استغفل» عن اكتساب الغلبة أو تحوّل الشيء إليها، وهو ملائم تماماً لسياق النبات الذي «استغلظ»؛ أي: اشتد وتكاثف.

خلاصة دلالية:

تُظهر هذه الصيغ:

تنوعاً بنيوياً دقيقاً يتوافق مع وظائف السياق.

تركيزاً على الديمومة والثبات حين تُستخدم الصفة المشبهة.

تركيزاً على الفعل والحدث والتحوّل حين تُستخدم الصيغ الفعلية أو المصدرية.

وهذا التدرّج الصرفي يُعدُّ من أبرز دلائل الإعجاز البياني، حيث لا تأتي الصيغة إلا بما يتناسب تماماً مع المقام والمقال، دافعة القارئ إلى التأمل في أثر البنية الصرفية في تكوين المعنى القرآني.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج: ١٦، ص: ١٠٣، و ج: ٣٠، ص: ٥٧٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج: ٤، ص: ١٧٣، و ج: ٨، ص: ١٧٠.

المبحث الرابع : الدلالة السياقية

تتجلى أهمية السياق في الدرس الدلالي والنحوي في توجيه المعاني وضبطها، كترجيح دلالة المشترك اللفظي، وتحديد المعنى المراد، ودفع توهم الحصر أو العموم. ويُعدّ التأمل في السياق أحد أسس التدبر، لما له من دور في كشف مقاصد الآيات وربط بعضها ببعض.

ومن هنا تأتي دراسة السياق القرآني بوصفها أداة منهجية لفهم النص وتفعيل أمر التدبر عملاً وتفكيراً.

المطلب الأول: دلالة سياق الصفة المشبهة (غليظ، غلاظ)

وردت الصفة المشبهة «غليظ» في القرآن الكريم وصفاً للميثاق في ثلاثة مواضع فقط، وجميعها في السور المدنية، دون أن يُوصف الميثاق في غيرها، مما يدلّ على شدة العناية والاهتمام بهذا الميثاق وقوّته، كما وردت «غليظ» وصفاً للعذاب في أربعة مواضع فقط، وكلها في السور المكية، من بين مئات المواضع التي وُصف فيها العذاب بصفات متعددة كـ«الأليم» و«العظيم» و«المقيم» و«الكبير»، مما يبرز خصوصية وصفه بـ«غليظ» في هذه المواضع. كذلك وردت الصفة جمعاً (غلاظ) مرة واحدة فقط وصفاً للملائكة في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُتُهُ غَلَاظٌ شَدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]، ووردت مضافة إلى القلب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد فسّر الزمخشري وصف الميثاق بالغليظ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ وَءَاتَيْتُمْ إِيَّاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَنًا وَإِنَّمَا مُنِيرًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١] بأنه «حق الصحبة والمضاجعة، كأنه قيل: وأخذن به منكم ميثاقاً غليظاً؛ أي: بإفشاء بعضكم إلى بعض. ووصفه بالغلظ لقوّته وعظمه»^(١).

قال ابن عاشور: «والغليظ صفة مشبهة من غلظ- بضم اللام- إذا صلب، والغلظة في الحقيقة صلابة الذوات، ثم استعيرت إلى صعوبة المعاني وشدتها في أنواعها»^(٢).

(١) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧)، ط ٣، ج ١، ص: ٤٩٢.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤)، ج: ٤٠، ص: ٢٩٠.

جاء وصف الميثاق بالغليظ في سياق عقد النكاح؛ للدلالة على قوته وشدة ارتباطه، إذ يقوم على نية الإخلاص ودوام الألفة، ويُعدّ في حقيقته تعبيراً عن عهدٍ معنويٍّ قويٍّ على حسن المعاملة، وقد عبّر السياق القرآني بهذا الوصف؛ لأنه يتناسب مع الأساس المتين الذي تُبنى عليه الأسرة في الإسلام، ضمن مسار قرآني يرمي إلى إصلاح المجتمع المسلم وتنقيته من موروثات الجاهلية التي أهانت المرأة.

فالميثاق الغليظ إذاً، يعكس صلابة البناء الأسري، ويقترن بمعنى الإفضاء، ليكون من أغلظ المواثيق وأشدها إحكاماً، يبعث في المرأة الطمأنينة وهي تقبل على حياة زوجية آمنة، فتُبنى الأسرة على أرضية قوية، ويقوم المجتمع المسلم على قواعد راسخة ونظام قيمى عفيف.

ثانياً: ورد وصف الميثاق بالغليظ في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤]، للدلالة على شدة العهد وصرامته، حيث اقترن بمشهد رفع الجبل فوق بني إسرائيل، حين أبوا الاستسلام لما جاءهم من التكليف.

وقد وصفه سيد قطب: بأنه ميثاقٌ جسيمٌ، غليظٌ، يناسب طبيعة القوم الغليظة، ويوازي غلظ الصخرة المرفوعة فوقهم وقسوة قلوبهم، فجاء التعبير تصويرياً وتجسيمياً يبرز ضخامة الحدث، ويؤكد قوة العهد الذي أخذ عليهم تحت التهديد، وكان من بنوده: دخول بيت المقدس سُجَّدًا، وتعظيم السبت^(١).

اقتضى السياق القرآني وصف العهد بأنه ميثاق غليظ؛ لما يتناسب مع طبيعة اليهود الغليظة^(٢)، التي اعتادت نقض العهود والمواثيق، كما أشار تعالى:

﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّاهُمْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

(١) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، ج: ٢، ص: ٨٠٠-٨٠١.

(٢) وما قصدته بعبارة «يتناسب مع طبيعة اليهود الغليظة» هو بيان مناسبة التعبير لشدة مخالفتهم، لا أن الغلظة هنا صفة مذمومة للميثاق نفسه، بل أداة لبيان فظاعة النكث. أما في سياق الأنبياء، فالميثاق الغليظ مدح يليق بمقامهم، والسياق هو الذي يمنح التعبير طابعه الدلالي المناسب، دون أن تتغيّر دلالة «الغلظ» المركزية.

وليس الغرض من هذا القصص القرآني مجرد السرد، بل لتوجيه المسلمين إلى كيفية التعامل مع اليهود، والتنبيه إلى طباعهم المتصلبة في مواجهة العهود، مما يستلزم الحذر والثبات أمامهم.

ثالثاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): «وَصَفُ الْمِيثَاقِ بِالْغَلِيظِ؛ أَيُّ: عَظِيمًا جَلِيلَ الشَّانِ فِي جَنْسِهِ فَإِنَّ كُلَّ مِيثَاقٍ لَهُ عِظَمٌ فَلَمَّا وُصِفَ هَذَا بِـ (غَلِيظًا) أَفَادَ أَنَّ لَهُ عِظَمًا خَاصًّا؛ وَلِيُعْلَقَ بِهِ لَمْ التَّغْلِيلِ مِنْ قَوْلِهِ لِيَسْأَلَ الصَّارِقِينَ.

وَاسْتُعِيرَ الْغَلِيظُ لِلْعَظِيمِ الرَّفِيعِ فِي جَنْسِهِ؛ لِأَنَّ الْغَلِيظَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ هُوَ أَمْكَنُهُ فِي صِفَاتِ جَنْسِهِ»^(١).

قال الشعراوي: «لذلك لم يُوصَف الميثاق بأنه غليظ إلا في هذا الموضع، وفي علاقة الرجل بالمرأة حين يطلقها»^(٢) جاء وصف عقد الزواج في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، تعبيراً عن شدة هذا العهد ومتانته، لما فيه من تعلّق بحقوق العرض والعشرة، مما يوجب الوفاء به والقيام بمقتضياته.

كما وُصف ميثاق الله مع النبيين بالغليظ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وهو عهد يوجب الإيمان بالرسول اللاحقين ونصرتهم، وقد جاء هذا الميثاق تحصيناً للأمم من التمسك بدينهم السابق ورفض دعوة الرسول الجديد، فاقترض تأكيداً وتنبيهاً من الله وشهادة منه، لضمان استمرار الحق ووحدانية الرسالة.^(٣)

تأتي آية الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ في سياق منطقي بعد الأمر الإلهي للنبي ﷺ بالتقوى في صدر السورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، وتأكيد أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فالآية تُذكّره - ومعه المؤمنون - بأن الله أخذ من جميع الأنبياء عهداً غليظاً على تبليغ الرسالة بلا خوف أو طمع؛ لترابط بين الأمر بالتقوى، ووجوب الثبات على البلاغ وعدم خشية أحد سوى الله.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ٢٧٥.

(٢) هناك موضع آخر قد فاته في الآية / ١٥٤ من سورة النساء، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج: ١٩، ص: ١١٩٤٧.

رابعاً: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي تفسير المنار: «يُبين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أنَّ الفظاظَة - بمعنى الشراسة والخشونة في المعاملة - تُنفِّر الناس، إذ لا يطيقون صحبة صاحبها مهما بلغ من الفضائل، فيتناثرون عنه ويحرمون أنفسهم من الانتفاع به، فنفَوَّت عليهم هدايته ولا تصل دعوته إلى قلوبهم»^(١).

ومن المناسب هنا المقارنة بين (غليظ القلب) و(لين القلب)^(٢)، ومعنى لين القلب رفته وطمأنينته وسكونه، ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَفُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] يقال للرجل الرحيم: لَيْنُ القلب، ومعنى غليظ القلب: القاسي، وللرجل غير الرحيم: قاسي القلب ويابس القلب.

والمقارنة بين الغلظة والفظاظَة:

يتبين من أقوال العلماء أن الفرق بين الغلظة والفظاظَة دقيق ومتداخل، فقد بين الراغب الأصفهاني أن الغِلْظَة ضد الرقة، وأصل استعمالها في الأجسام، ثم استُعيرت للمعاني كالشدة والقسوة^(٣)، بينما الفظُّ عنده هو «الكريه الخلق»، مستعار من ماء الكرش الكريه^(٤)، مما يشير إلى نفور طبعي في التعامل، وأما الزمخشري فقد أورد أمثلة لغوية توضح أن الغلظة تُستعمل في الشدة المادية والمعنوية^(٥)، في حين أن الفظاظَة تتعلق بالجفاء والخشونة في القول والتعامل، كما في قوله: «أنحى عليه بفظاظته وعنفه»، و«قوم غلاظ فظاظ»^(٦). بينما رأى صديق خان: «وأصل الغلظ قبض الرأفة وهو شدة القلب

(١) ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠)، ج: ٤، ص: ١٦٣.

(٢) وما قصدته بالمقارنة بين «غليظ القلب» و«لين القلب» هو توضيح الجانب النفسي والدلالي في السياق القرآني، وليس الفصل الصارم بين الغلظة والقسوة، بل إبراز أن الغلظة تعبر غالباً عن أثر خارجي (خشونة في التعامل)، بينما القسوة حالة داخلية راسخة في القلب، وقد يجتمعان أو يُفترقان بحسب السياق.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج: ١، ص: ٦١٢.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج: ١، ص: ٣٤٠.

(٥) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ج: ١، ص: ٧٠٧.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٢٨.

وخشونة الجانب^(١)»، وقيل إن اللفظ هو سيئ الخلق، أما الغليظ فهو الذي لا يتأثر قلبه، وقيل أيضًا إن الفظاظلة خشونة في الكلام، والغلظة قسوة في القلب^(٢). ومن خلال هذا يظهر أن الغلظة تعبر غالبًا عن قسوة مستكنة في الطبع أو الفعل، أما الفظاظلة فتبرز في السلوك الظاهر، وخصوصًا في الكلام، فالفظاظلة جفاء اللسان، والغلظة قسوة الطبع.

خامسًا: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨﴾ [هود: ٥٨].

ذكر محمد رشيد رضا: وصف الله نجاته لقوم هود بقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]، أي عذاب فظيع شديد غير مألوف في عالم البشر، وهو ما بينه سبحانه في مواضع أخرى بقصة الريح العقيم التي أهلكت عادًا؛ إذ قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنَزَّعُ النَّاسُ كَانْتَهُمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ۝٢٠﴾ [القمر: ١٩-٢٠]، ووصف تلك الريح العاتية بقوله: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانْتَهُمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاقِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: ٧-٨]. فالعذاب الغليظ هنا تمثل في ريح مهلكة تذرو كل شيء وتترك القوم كجدوع نخيل خاوية^(٣).

ذكر ابن عاشور في تفسيره: نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَهُوَ الْإِنجَاءُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَهُوَ الْعَذَابُ الْغَلِيظُ. فَيُفِي هَذَا مِنْ ثَانِيَةٍ عَلَى إِنجَاءِ ثَانٍ، أَيْ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ فِي الْآخِرَةِ^(٤).

وحقيقة الغليظ: الْحَشْنُ ضِدُّ الرِّقِيقِ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ لِلشَّدَةِ، وَعَبَّرَ بِالْمَاضِي فِي (وَنَجَّيْنَاهُمْ) فِي مَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِيُفِيدَ تَحَقُّقَ الْوَعْدِ بِوُقُوعِهِ.

سادسًا وسابعًا: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمُعَيِّنٍ ۚ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾ [إبراهيم: ١٧]. ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٤].

(١) فتح البيان، القنوجي، ج: ٥، ص: ٣٤٩.

(٢) ينظر: كتاب موسوعة الأخلاق الإسلامية الدرر السننية - الفرق بين الغلظة والفظاظلة وبعض الصفات - (المكتبة الشاملة الحديثة)، ص: ٤٤٩.

(٣) ينظر: تفسير المنار، رضا، ج: ١٢، ص: ٩٩.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١٢، ص: ٢٠٤.

قال أبو زهرة : «وَمَنْ وَرَأَاهُ عَذَابٌ أَمَا بَعْدَ تِلْكَ الْحَيَاةِ الشَّدِيدَةِ الْغَلِيظَةِ الَّتِي لَا تَفْنَى، وَلَا تُبْقَى، مِنْ بَعْدِهَا عَذَابٌ شَدِيدٌ (غَلِيظٌ) يَجْمَعُ بَيْنَ صَفَتَيْنِ: الشَّدَّةِ وَالْغَلْظَةِ، فَيَكُونُ أَقْسَى الْعَذَابِ؛ لِأَنَّهُمْ تَمَتَّعُوا بِالْبَشَرِ وَالْأَذَى وَالِاسْتِكْبَارِ؛ فَكَانَ ذَلِكَ الْعَذَابُ جَزَاءً وَفَاقًا لِمَا قَدَّمُوا^(١) إنه لمشهد رهيب عجيب، مشهد هؤلاء الجبابرة الذين يتجرعون الماء الصديد ويأتيهم الموت من كل مكان، ويتمنون الموت، ولكن هيهات هيهات، وتأتي مادة (غليظ) لتزيد المشهد فظاعة جزاء بما تجبروا في الأرض بغير الحق، وضيقوا على عباد الله المؤمنين وأهل الإصلاح والدعاة.

﴿نُمِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤].

«ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ شَبِهَ إلْزَامَهُمُ التَّعْذِيبَ وَإِرْهَاقَهُمْ إِيَّاهُ بِاضْطِرَارٍ الْمَضْطَرِّ إِلَىٰ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْفِكَاحِ مِنْهُ، وَالْغَلْظُ: مُسْتَعَارٌ مِنَ الْأَجْرَامِ الْغَلِيظَةِ، وَالْمُرَادُ الشَّدَّةُ وَالثَّقَلُ عَلَى الْمَعْذُوبِ»^(٢).

«وفي قوله ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ استعارة مكنية، فقد شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه؛ أي: يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ، والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة، والمراد الشدة والثقل على المعذب»^(٣).

يلاحظ هناك في سورة إبراهيم تجرع، وهنا في سورة لقمان اضطرار، والعلاقة واضحة بين الآيتين، وهي الإلزام والإرهاق؛ إذن الآيتان تتكاملان: إحداها تبرز قهر الإيصال إلى العذاب، والأخرى تبرز قهر المعاناة داخله، فيجمع السياق بين الإلزام والإرهاق لإظهار شدة «العذاب الغليظ».

فآية إبراهيم تصف واقع العذاب ذاته، وكأن آية لقمان تمهد لما تفصله آية إبراهيم، وصف شدة العذاب وأثره.

(١) أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت)، ج: ٨، ص: ٤٠١٠.

(٢) الكشف، الزمخشري، ج: ٣، ص: ٥٠٠.

(٣) درويش، محيي الدين بن أحمد، إعراب القرآن وبيانه، (حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق وبيروت: دار اليمامة، دار ابن كثير، ١٤١٥)، ط ٤، ج: ٧، ص: ٥٥٤-٥٥٥.

أما آية لقمان تصف بداية المصير المؤلم بعد مهلة من المتاع الزائف، المآل النهائي للعذاب.

كلاهما يشتركان في وصف العذاب بأنه غليظ؛ أي: شديد، فظيع، لا يُحتمل، مما يعكس وحدة السياق القرآني في تصوير العقوبة الموحشة للكافرين.

ثامناً : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم: ٦].

أي: «يلي أمرها وتعذيب أهلها مَلَائِكَةٌ، يعنى الزبانية التسعة عشر وأعاونهم، غِلَظٌ شِدَادٌ في أجرامهم غلظة وشدة؛ أي: جفاء وقوة، أو في أفعالهم جفاء وخشونة، لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه»^(١).

شُدَّ تهويل النار بذكر ملائكة مُوَكَّلِينَ بها، وصفهم الله بأنهم غِلَظٌ شِدَادٌ لا يعصون ما يأمرهم، فيُنْزِلُونَ العقاب بمن عصى، وجاء حرف الاستعلاء في ﴿عَلَيْهَا﴾ للإيحاء بالتمكّن والقهر، فاتسق وصف الملائكة الغلاظ الشداد مع طبيعة العذاب الغليظ.

المطلب الثاني: دلالة سياق المصدر السماعي (غِلْظَة).

وردت مادة (غ ل ظ) بصيغة المصدر السماعي: (غِلْظَة) مصدر سماعي لفعل غلظ يغلظ من أبواب نصر وضرب وكرم.. وزنه فعلة بكسر الفاء، وثمة مصادر أخرى بضمّ الفاء وفتحها، وغلظ بكسر الغين وغلظة بكسر الغين^(٢) «والغلظة ضد الرقة، وأصلهما أن يستعملتا في الأعيان دون المعاني، وقد يستعملان فيهما مجازاً كالكبير والكثير»^(٣).

ووردت لفظة غلظة مرة واحدة في القرآن في سياق القتال، في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَنَلُوهَا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، أي: شدة في المواجهة.

(١) الكشف، الزمخشري، ج: ٤، ص: ٥٦٨.

(٢) صافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن الكريم، (دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٨)، ط ٤، ج: ١١، ص: ٦٣.

(٣) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المحقق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦) ج: ٣، ص: ١٦٩.

وقد أشار صاحب المنار إلى أن الغلظة في الحرب أمر طبيعي ومرتبطة بالمصلحة، ويُترك تحديدها لولي الأمر حسب الحال، فهي استثناء من قاعدة الرفق والعدل التي يتعامل بها المسلمون مع غيرهم في الأحوال العامة، في حين أن القتال في كل الأمم قائم على الشدة.^(١)

وقد نزلت آية ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ في سورة التوبة وسط سياق يفضح المنافقين ويأمر بالنفير لقتال الكفار، ويُرجَّح أنَّ الخطاب موجَّه لبدء مواجهة الروم بعد أن أصبحت الجزيرة العربية قاعدةً إسلاميةً. فقتال «الأقرب فالأقرب» يقلل الجهد والنفقة ويجعل المهزومين عبرة لغيرهم، كما يؤكِّد قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧].

الآية تجعل من الغلظة العسكرية أداة ردعية مرحلية، تبدأ بالأعداء الأقرب؛ لتحقيق أثر تربوي وردعٍ استراتيجي بأقلِّ تكلفة، مع بقاء أصل التعامل العام قائماً على الرفق والعدل. ويُلخَّص مبدأ «الأقرب فالأقرب» في سورة التوبة فكرة التصديَّ أولاً لمن يُباشِر العدوان على الأمة؛ لتكون المواجهة أقلَّ كلفةً وأكثر أثراً رادعاً. وينعكس ذلك اليوم في واقع غزة؛ إذ يجد أهلها أنفسهم في مواجهة مباشرة مع قوَّة محتلة هي الأقرب جغرافياً وعدواناً، فيتحمم عليهم -ومن يسانداهم- إظهار الصلابة والغلظة الدفاعية لردِّ العدوان، تماماً كما وجَّهت الآية إلى اتخاذ الشدَّة وسيلةً لحماية المجتمع المسلم وردع المعتدي.

المطلب الثالث: دلالة سياق الفعل: (الأمر والماضي).

أولاً: الأمر

وردت مادة (غ ل ظ) بصيغة فعل الأمر في موضعين اثنين في القرآن الكريم، كلاهما في سياق التعامل مع المنافقين، في قوله تعالى:

﴿وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]؛ أي: عاملهم بالشدَّة والصلابة، خلاف ما أمر به النبي ﷺ في معاملته للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].^(٢)

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]،

(١) ينظر: المنار، رشيد رضا، ج: ١١، ص: ٦٦.

(٢) ينظر: المنار، رشيد رضا، ج: ٣، ص: ١٦٩.

[التحريم: ٩]. «جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْأَحْتِجَاجِ، وَاسْتَعْمِلِ الْغُلْظَةَ وَالْخَشُونَةَ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا تَجَاهَدُهُمَا بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالْمَحَاجَةِ. وَعَنْ قِتَادَةِ: مُجَاهِدَةِ الْمُنَافِقِينَ لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: بِالْوَعِيدِ، وَقِيلَ: بِإِفْشَاءِ أَسْرَارِهِمْ»^(١)

ووردت الغلظة في سورة التوبة مرتين: مرة بصيغة فعل الأمر (واغْلُظْ عَلَيْهِمْ) في التعامل مع المنافقين، ومرة بصيغة المصدر (غلظة) في قوله: ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً﴾ في التعامل مع الكافرين، وهو ما يبين منهج القرآن في التعامل مع أعداء الإسلام، سواء الظاهرين منهم (الكفار) أو الباطنين (المنافقين)^(٢).

ثانيًا: الفعل الماضي

قال تعالى: ﴿كَزَرَخَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ، فَتَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

ولما ذكر إخراج الزرع، عقبه بقوله: ﴿فَتَازَرَهُ﴾؛ أي: دعمه الشطأ وقواه وعاونته، فجاءت قراءة الهمز بالمد أدل على المشاركة والمعالجة، وهو أبلغ من القصر. ثم قال: ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾؛ أي: طلب الغلظ وتحقق له، فتسبب عن ذلك قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾؛ أي: اعتدل الزرع على ساقه بقوة واستقامة، دلالة على تمام النمو وكمال الهيئة^(٣).

فقد جاء في الظلال: «يلخص النص مشهداً بديعاً يرسمه القرآن لأحوال الجماعة المؤمنة، من خلال لقطات متتابعة تصف مواقفهم وسلوكهم: فهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وذوو خشوع في العبادة، وقلوبهم تبتغي فضل الله ورضوانه، وتبدو آثار السجود على وجوههم، كما وُصفوا في التوراة، ثم شَبَّهَهُمُ الْإِنْجِيلُ بِزَرْعٍ قَوِيٍّ: خَرَجَ شَطْطَاهُ، فَدَعَمَهُ، فَغُلْظَ، فَاسْتَقَامَ عَلَىٰ سُوقِهِ، فِي تَصْوِيرٍ مُتَكَامِلٍ لِنُمُوهِمُ الْإِيمَانِي وَالْجِهَادِي»^(٤).

(١) الكشف، الزمخشري، ج: ٤، ص: ٥٧١.

(٢) ولا يُعد هذا تكراراً؛ إذ التركيز هنا على الفرق الصياغي والدلالي بين الفعل والمصدر، وهو جانب لم يُفصل سابقاً، ويخدم بيان المنهج القرآني في توزيع الغلظة بحسب طبيعة العدو وظروف المواجهة.

(٣) نظم الدرر، البقاعي، ج: ١٨، ص: ٣٤٣-٣٤٤.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، ج ٦، ص ٣٣١.

فقدّم هذا النص تشبيهاً تمثيلاً يُشَبَّه فيه ظهور الإسلام، في بداياته الضعيفة، بزرع ينمو تدريجياً حتى يقوى ويُعجب الزَّراع ويُغيظ الكفار، ثم يشتدّ ويتفوّق على أعدائه. وولفت السياق إلى دقة توظيف جذر (غ ل ظ)؛ إذ يجمع بين غلظة المؤمنين على الكفار في الدنيا -﴿اغْلُظْ﴾، ﴿استَغْلِظْ﴾، ﴿غَلْظَةً﴾- وبين وصف العذاب في الآخرة -﴿غَلِيظٌ﴾، ﴿غَلَاظٌ﴾- كذلك جاء وصف الميثاق بالغليظ تنبيهاً إلى أنّ من يستهين به يعرّض نفسه لعذاب غليظ مماثل.

وهذا جدول الدلالة السياقية لمادة: (غ ل ظ) في القرآن الكريم:

الرقم	الآية	الصيغة	١٤	الدلالة
١	﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]	مصدر قياسي	إيجابي وممدوح	صرامة وحزم في مواجهة أعداء الدين
٢	﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].	فعل أمر	إيجابي وممدوح	صرامة وحزم في مواجهة أعداء الدين
٣	﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحریم: ٩]	فعل أمر	إيجابي وممدوح	صرامة وحزم في مواجهة أعداء الدين
٤	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]	صفة مشبهة	سلبي ومذموم	قسوة القلب تؤدي إلى نفور الناس.
٥	﴿وَجَنَّتْهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨].	صفة مشبهة	إيجابي (وصف مشدد)	شدة وقسوة العذاب
٦	﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧].	صفة مشبهة	إيجابي (وصف مشدد)	شدة وقسوة العذاب
٧	﴿ثُمَّ نَضْطِرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤].	صفة مشبهة	إيجابي (وصف مشدد)	شدة وقسوة العذاب
٨	﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠].	صفة مشبهة	إيجابي (وصف مشدد)	شدة وقسوة العذاب

الرقم	الآية	الصيغة	١٤	الدلالة
٩	﴿عَلَيْهَا مَلَكُتُهُ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦].	صفة مشبهة (جمع)	إيجابي وممدوح	قوة وصلابة الملائكة
١٠	﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].	صفة مشبهة	إيجابي ومؤكد	متانة وقوة الالتزام بالعهد (الزواج)
١١	﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤].	صفة مشبهة	إيجابي ومؤكد	متانة وقوة الالتزام بالعهد
١٢	﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].	صفة مشبهة	إيجابي ومؤكد	متانة وقوة الالتزام بالعهد
١٣	﴿فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ [الفتح: ٧].	فعل ماضٍ	محايد (وصفي)	اشتد النبات وتجسّم

المبحث الخامس: الألفاظ المقاربة

يتناول هذا المبحث الألفاظ المقاربة لمادة (غ ل ظ) في القرآن الكريم، من حيث المعاني المشتركة والفروق الدقيقة، بهدف بيان تمايز الاستخدام القرآني ودقته في توظيف الألفاظ.

المطلب الأول: مادة (ق، س، و).

أولاً: المعنى المعجمي.

وردت مادة (ق س و) في المعاجم اللغوية دالةً على الصلابة والشدة. يقول ابن منظور: «الْقَسَاءُ مصدر قَسَا القلبُ يَقْسُو قَسَاءً، والقَسْوَةُ: الصلابة في كل شيء، وحجرٌ قاسٍ: صلب، وأَرْضٌ قاسية: لا تُنبِت شيئاً»^(١). ويضيف أن قسوة القلب تعني «ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه»، وأن «الذنب مقساة للقلب»، أي سببٌ لغلظته وشدته.

وفسّر أبو إسحاق الزجاج القسوة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، بأنها تدل على غلظة القلب ويبسه وعصيانه، مما يشير إلى انعدام التأثر واللين^(٢).

ومن خلال استقراء هذه التعريفات، يظهر أن «القسوة» تحمل معنى مضاداً لللين والرقّة، وهي تلازم حالة من التصلّب سواء في المحسوسات (كالحجارة والأرض) أو في المعاني (كالقلوب والأزمنة). وتكون القسوة حينئذٍ علامةً على انعدام التأثر، وانتفاء الرحمة، وجمود المشاعر، مما يجعلها قرينةً على الكفر أو النفاق في الاستعمال القرآني.

ثانياً: الآيات التي وردت فيها هذه المادة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].
قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّثْقَلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].
قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

(١) لسان العرب، بن منظور، ج: ١٥، ص: ١٨٠-١٨١.

(٢) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨) ج: ١، ص: ١٥٥. بتصرف يسير.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣].

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

المطلب الثاني: مادة (ف، ظ، ظ)

أولاً: المعنى المعجمي

تدل مادة (ف ظ ظ) في أصلها اللغوي على الجفوة والغلظة في القول والفعل، وقد ورد في المعاجم أن «الفظ» هو الجافي في معاشرته، السيئ في منطقه ومقاطعه. والفظاظة: الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلًا. جاء في المفردات للراغب الأصفهاني أن الفظ «كرهه الخلق»، وأصله مستعار من الفظ، وهو ماء الكرش، الذي يُكره شربه إلا في أشد الضرورات^(١)، مما يشير إلى دلالة نفور واشمئزاز كامنة في المادة.

ويُفهم من ذلك أن «الفظ» يتصف بالجفاء الظاهر، بخلاف «الغلظ» الذي يتعلق بباطن النفس، كما يلمح إليه الفرق بين المظهر والجوهر، أو بين ما يظهر في الأفعال وما يُكن في القلب لذا قُدمت الفظاظة في الذكر على الغلظة كما يرى بعض أهل اللغة؛ لكونها ظاهرة للحس^(٢)، بخلاف الغلظة التي تنشأ عنها، لكنها خافية في الأصل. وقد قيل: «الفظ: الجافي في منطقه ومقاطعه»، وهو ما جاء في وصف النبي ﷺ في الكتب السابقة: «ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب في الأسواق».

ويؤيد هذا المعنى قول الشاعر:

أَخْشَى فِظَاظَةً عَمَّ أَوْ جَفَاءً أَخٍ وَكَنتَ أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلِمِ^(٣) (٤).

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص: ٣٨٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج: ٢، ص: ٨٧.

(٣) ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢) ج: ١، ص: ٥٣٣.

(٤) الشاعر إسحق بن خلف من شعراء الدولة العباسية. التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني، أبو زكريا، شرح ديوان الحماسة، ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس، (بيروت: دار القلم، د.ت)، ج: ١، ص: ١٠١.

فالجفاء والفظاظة قرينان، يجمعهما المعنى الذي يفيد خشونة السلوك وقسوة المعاملة، وهو ما يقابل خُلُق الرفق واللين الذي أثنى الله به على نبيه ﷺ.

ثانيًا: الآيات التي وردت فيها هذه المادة:

قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

المطلب الثالث: (ث، خ، ن)

أولًا: المعنى المعجمي: ثخن

يقال ثَخَنَ الشيء فهو ثَخِين: إذا غلظ فلم يسئل، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قولهم: أَثَخَنَتْهُ ضرباً واستخفافاً^(١).

تدل مادة (ث خ ن) على الغلظ والثقل، وتُستعمل مجازًا للدلالة على بلوغ غاية التأثير في الإيذاء أو السيطرة، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]؛ أي: يُضعف العدو حتى يعجز عن المقاومة، ويعكس هذا الاستعمال القرآني دقة التعبير عن الحسم والقوة، بما يخدم المعنى الموضوعي للسياق الجهادي في السورة.

ثانيًا: الآيات التي وردت فيها هذه المادة:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوا فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ [محمد: ٤].

المطلب الرابع: (غ، ل، ب).

أولًا: المعنى المعجمي: غلب.

والأغلب: الغليظ الشديد، قوله: ﴿غُلْبًا﴾: جمعُ أَغْلَبَ وَغُلْبَاءَ كَحُمُرٍ فِي أَحْمَرٍ وَحَمَرَاءَ، يقال: حديقةٌ غُلْبَاءُ، أي: غليظةُ الشجر ملتفتة، وأغْلَوْبُ العُشْبُ، أي: غُلْظٌ. وأصله في وصف الرِّقَاب. يقال: رجلٌ أَغْلَبُ، وامرأةٌ غُلْبَاءُ، أي: غليظا الرِّقبة^(٢).

«حديقة غلباء أي غليظة الشجر ملتفة فالحقائق ذات أشجار غلاظ فهو مجاز مرسل،

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج: ١، ص: ١٧٢.

(٢) الدر المصون، السمين الحلبي، ج: ١٠، ص: ٦٩٤.

وفيه تجوز في الإسناد أيضًا؛ لأن الحقائق نفسها ليست غليظة بل الغليظ أشجارها^(١). وحقائق غُلْب؛ أي: غِلاظ ممتلئة. وأكثر ما يوصف به البعير والأسد والعنق، فيقال: بغير أغلب، وأسد أغلب، ورجل أغلب؛ أي: عظيم الرقبة.

يتضح من تحليل مادة (غ ل ب) في ضوء الدراسة المعجمية والدلالية والسياقية أن هذه المادة تؤكد المحور الدلالي العام لمادة «غ ل ظ» في القرآن الكريم، من حيث اشتمالها على الغلظة المصحوبة بالقوة والضخامة والتماسك، وهي صفات تتكرر في ألفاظ المادة الرئيسة (غ ل ظ) عبر صيغ متنوعة. فالوصف بـ ﴿غُلْبًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ﴾ [عبس: ٣٠]، لا ينفصل عن المعاني الجوهرية التي تنتظم مادة «غلظ»، بل يُعدّ مظهرًا من مظاهرها السياقية التي تُسهم في إبراز بنية الشدة والامتناع، وهي من أبرز السمات التي يُبنى عليها الحقل الدلالي للمادة.

ومن ثم فإنّ دراسة مادة (غ ل ب) في سياقها القرآني تُغني التصرّو الدلالي العام لمادة «غ ل ظ»، وتُظهر تفرعاتها في التصوير الحسي والمعنوي للغلظة، بما يخدم البناء الموضوعي والبياني في النص القرآني.

الآيات التي وردت فيها هذه المادة:

قال تعالى: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ﴾ [عبس: ٣٠].

المطلب الخامس: مادة (ص، ل، ب)

أولاً: المعنى المعجمي

تفيد مادة (ص ل ب) القوة والصلابة والشدة، يقال: الصلابة من الأرض: ما اشتدّ غلظه وصلّب، ومن هذا المعنى سُمي الظهر صُلْبًا لقوته، فهو موضع الاعتماد والركن الشديد للبدن، ومنه ظاهر فلان فلانًا، أي أعانه وقوّاه^(٢)؛ لأنه وقف معه وقوف الصلب القوي.

ثانيًا: الآية التي وردت فيها المادة

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۖ﴾ [الطارق: ٧]، والصُّلْب هنا موضع القوة

(١) ينظر: فتح البيان، القنوجي، ج: ١٥، ص: ٨٥.

(٢) ينظر: العين، الفراهيدي، ج: ٧، ص: ١٢٧.

في الإنسان، وهو عمود الظهر، الذي يخرج منه ماء الرجل، والآية تشير إلى أصل النشأة، موصولة بمعاني التكوين والقوة والبنية الشديدة.

يستفاد من مادة (ص ل ب) في السياق المعجمي أن معناها يدور حول الصلابة والقوة والاعتماد، وهي دلالات تتقاطع مع الجذر (غ ل ظ) في جانب الشدة والتماسك. فالصلب يمثل أصلًا في القوة والاعتماد، كما أن إطلاقه على الظهر يعزز صورة الصلابة الحسية والمعنوية، مما يسهم في توسيع الدلالة السياقية لمادة «غلظ» في القرآن الكريم، بوصفها بنية معنوية تشمل الغلظة والقوة والتماسك في البنية والتصرف.

الخاتمة

النتائج :

- ١ - **الصلابة والغلظة كخصائص دلالية مركزية:** جميع المواد التي تدرسها (غ ل ظ) وما يقابلها من مواد: (ق س و)، (ف ظ ظ)، (ث خ ن)، (ص ل ب)، (غ ل ب) تدور حول دلالة الغلظة، الصلابة، والقسوة سواء على مستوى القلب (الطباع) أو على المستوى المادي (الصلابة الجسدية، الشدة).
- ٢ - **اتساق بين المعنى المعجمي والدلالة القرآنية:** تأكيد واضح في النصوص القرآنية على المعاني اللغوية الأصلية التي تفيد القسوة، الجفاء، والصلابة، ما يدل على ثبات المعنى عبر السياق اللغوي والقرآني.
- ٣ - **التدرج الدلالي في شدة الغلظة:** يوجد تفاوت في مستوى الغلظة؛ فمادة (ق س و) تصف قسوة القلب الشديدة، بينما (ف ظ ظ) تشير إلى الفظاظة الاجتماعية، و(ث خ ن) تدل على غلظة ثابتة في الموقف أو الظرف.
- ٤ - **ارتباط الغلظة بالقلب والسلوك:** الغلظة تصف حالة نفسية وقلبية (قسا، فظ، قسوة، قلوب صلبة) تؤدي إلى فقدان الرحمة والخشوع، مما يؤثر على علاقة الإنسان بالله والناس.
- ٥ - **الاستخدام المجازي للغلظة في الطبيعة والإنسان:** مثل وصف الحقائق بـ(غلبا) للدلالة على كثافة وغلظة الأشجار، مما يربط بين المعاني المادية والإنسانية في سياق لغوي مشترك.
- ٦ - **دور الألفاظ الدالة على الغلظة في توضيح الأزمات الروحية:** الآيات التي تتحدث عن قساوة القلب أو الفظاظة في القول تؤكد على ارتباط الغلظة باضطرابات روحية وأخلاقية، مثل الفسق، والغفلة، وابتعاد النفس عن ذكر الله.
- ٧ - **الغلظة الاجتماعية تؤثر في التفاعل الإنساني:** الفظاظة والجفاء، مادة: (ف ظ ظ) تؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وتباعد الأفراد، مما يؤثر على التماسك المجتمعي.

٨ - الأصوات الحرفية تعكس القوة والغلظة: وجود الحروف المفخمة: (ظ، غ، ص، ق) ضمن المادة اللغوية يسهم في توصيل إحساس بالقوة، الجسامة، والصلابة، حيث إن للصوت تأثيرًا دلاليًا على معنى الكلمة.

التوصيات: يوصي الباحث بما يأتي:

- ١ - تحليل صوتي ودلالي شامل للحروف (غ، ل، ظ) والألفاظ المقاربة، لفهم تأثير الصوت على المعنى في القرآن الكريم.
- ٢ - دراسة السياق البلاغي والنفسي للألفاظ الدالة على الغلظة والصلابة، وربطها بالمعاني الأخلاقية والسلوكية في النص القرآني.
- ٣ - مقارنة دلالية بين التراث اللغوي القديم والحديث لتتبع تطور معاني المادة واستخدامها في العربية الفصحى واللهجات.
- ٤ - توظيف نتائج البحث في التعليم والتفسير لتسهيل فهم المعاني القرآنية وتعزيز الدراسات اللغوية والقرآنية التطبيقية.
- ٥ - دراسة المواد الدلالية المكملة: كاللين والرحمة؛ لمقارنة الغلظة وفهم أوجه التقابل في اللغة القرآنية بشكل متكامل.
- ٦ - دلالات الغلظة تشمل جوانب نفسية وجسدية ولغوية، مثل صلابة القلب، قسوة السلوك، وشدة الموقف.

المراجع

- الأزهري، محمد بن أحمد. (2001). تهذيب اللغة (محمد عوض مرعب، تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الألوسي، محمود بن عبد الله. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (علي عبد الباري عطية، تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. (2003). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. المكتبة العصرية.
- أنيس، إبراهيم. (د.ت). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1407هـ). الجامع الصحيح المختصر (د. مصطفى ديب البغا، تحقيق؛ ط3). دمشق: دار ابن كثير.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د.ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بيروت: دار الكتاب الإسلامي.
- التبريزي، يحيى بن علي. (د.ت). شرح ديوان الحماسة. القاهرة: دار القلم.
- جبل، محمد حسن. (2010). المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها. القاهرة: مكتبة الآداب.
- ابن جزي، محمد بن أحمد. (1406هـ). التسهيل لعلوم التنزيل. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- ابن جني، عثمان الموصلي. (1421هـ). سر صناعة الإعراب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- حسن، عباس. (د.ت). النحو الوافي (ط15). القاهرة: دار المعارف.
- الحملوي، أحمد بن محمد. (د.ت). شذو العرف في فن الصرف (نصر الله عبد الرحمن نصر الله، تحقيق). الرياض: مكتبة الرشد.
- أبو حيان، محمد بن يوسف. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير (صدقي محمد جميل، تحقيق). بيروت: دار الفكر.
- درويش، محيي الدين بن أحمد. (1415هـ). إعراب القرآن وبيانه (ط4). حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية؛ بيروت - دمشق: دار اليمامة؛ بيروت - دمشق: دار ابن كثير.

- الرافعي، مصطفى صادق. (2005). *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية* (ط.8)، بيروت: دار الكتاب العربي.
- رضا، محمد رشيد. (1990). *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- رينهارت، بيتر آن دُوزي. (1979). *تكملة المعاجم العربية*. العراق: وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية.
- الزمخشري، محمود بن عمرو. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* (ط.3). بيروت: دار الكتاب العربي.
- الزمخشري، محمود بن عمرو. (1998). *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد. (د.ت). *زهرة التفاسير*. بيروت: دار الفكر العربي.
- أبو السعود، محمد بن محمد. (د.ت). *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. (1996). *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ* (محمد باسل عيون السود، تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. (2000). *المحكم والمحيط الأعظم* (عبد الحميد هنداوي، تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشاربي، سيد قطب. (1412هـ). *في ظلال القرآن* (ط.17). بيروت- القاهرة: دار الشروق.
- الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). *تفسير الشعراوي - الخواطر*. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
- شكري، أحمد خالد، لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم. (2010). *المنير في أحكام التجويد*. عمان: المطابع المركزية.
- صافي، محمود بن عبد الرحيم. (1418هـ). *الجدول في إعراب القرآن الكريم* (ط.4). دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان.
- الطبري، محمد بن جرير. (2000). *جامع البيان في تأويل القرآن* (أحمد محمد شاكر، تحقيق). عمان: مؤسسة الرسالة.

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984). *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*. تونس: الدار التونسية.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (عبد السلام عبد الشافي محمد، تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.
- عمر، أحمد مختار. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. إربد، الأردن: عالم الكتب.
- الفارابي، إسماعيل بن حماد. (1407هـ). *الصاحح تاج اللغة وصاحح العربية* (ط.4). بيروت: دار العلم للملايين.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت). *كتاب العين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- مجمع اللغة العربية. (د.ت). *المعجم الوسيط*. الإسكندرية: دار الدعوة.
- المصطفوي، حسن بن محمد. (1993). *التحقيق في كلمات القرآن*. طهران: بنگاه ترجمه ونشر كتاب.
- المعبيد، محمد جبار. (د.ت). *دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية*. دون دار نشر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1987). *لسان العرب* (ط.4)، بيروت: دار صادر، ودار العلم للملايين.
- أبو موسى، محمد محمد. (د.ت). *خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني* (ط.7). القاهرة: مكتبة وهبة.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف. (1428هـ). *شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»* (علي محمد فاخر وآخرون، تحقيق). القاهرة: دار السلام.
- النسفي، عمر بن محمد. (د.ت). *طلبة الطلبة*. بغداد: مكتبة المثنى.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (1383). *شرح قطر الندى وبل الصدى* (محمد محيي الدين عبد الحميد، تحقيق). القاهرة.
- ابن يعيـش، يعيـش بن علي. (2001). *شرح المفصل للزمخشري*. بيروت: دار الكتب العلمية.

JOURNAL OF SHARIA AND ISLAMIC STUDIES

A refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

The Term of (Ghalazh / Coarse) in the Holy Qur'an Lexical: Semantic and Contextual Study

Dr. Sameer Ahmed Al-kasasbeh

Ministry of Awqaf of Jordan - The Hashemite Kingdom of Jordan

Academic
Publication Council



جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

P-ISSN: 1029-8908

E-ISSN: 2960-1479

Issue No. 145 - Volume 41

ThulHijjah 1447 A.H. - June 2026